الفصل الثاني

الإطار النظري

في هذا الفصل بحث الباحث عن الأول مفهوم البلاغة والثاني علم المعاني والثالث عن تقسيم الكلام الخبر والإنشاء والرابع لمحة عن سورة يوسف. في المبحث الثالث يبحث فيه عن كلام الخبر والإنشاء والأمر والنهي، أما للمبحث الرابع يبحث فيه تعريف سورة يوسف، وأسباب نزولها، ومضامين سورة يوسف.

أ. مفهوم البلاغة

البلاغة لغة : الوصول والانتهاء، والمتكلم العاجز عن إيصال كلام ينتهي إلى قرارة نفس السامع ليؤثر

فيها تأثيراً شديداً لا يسمى بليغاً.^١ في معجم المنجد بلاغة هي صار أو كان فصيحاً فهو بليغ.^٢

والبلاغة اصطلاحاً هي تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر

خلاب، مع ملائمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه والأشخاص الذين يخاطبون.^٣ فليست البلاغة قبل كل

شيء إلا فنا من الفنون يعتمد على صفاء الاستعداد الفطري وذقة إدراك الجمال، وتبين الفروق الخفية بين

صنوف الأساليب، وللمرانة يد لا تجحد في تكوين الذوق الفني، وتنشيط المواهب الفاطرة، ولا بد للطلاب –

^١ أحمد فلاش، تيسير البلاغة (جدة: مطبعة الثغر، ١٩٩٥)، ص: ٥.

^٢ لويس معلوف اليسوعي، المنجد في اللغة و الأدب و العلوم (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٠٨) ص: ٤٨.

^٣ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٧) ص: ٣٥.

إلى جانب ذلك- من قراءة طرائف الأدب، والتملؤ من نميره الفياض، ونقد الآثار الأدبية الموازنة بينها، و أن

يكون من الثقافة بتفسه ما يدفعه إلى الحكم بحسن ما يراه حسنا وبقبح ما يعد قبيحا.^٤

فليس هناك من فرق بين البليغ والرسام إلا أن هذا يتناول المسموع من الكلام، وذلك يشاكل بين

المرء من الألوان والأشكال، أما في تأليف هذه الألوان بحيث تختاب الأبصار وتثير الوجدان، والبليغ إذا أراه

أن ينشئ قصيدة أو مقالة أو خطبة فكر في أجزائها ثم دعا إليه من الألفاظ والأساليب أخفها على السمع،

وأكثرها اتصالا بموضوعه ثم قواها أثرا في نفوس سامعه وأروعها جمالا.

وعند الخفاجي أن الفصاحة مقصودة على وصف اللفظ، أما البلاغة فلا تكون إلا وصفا للألفاظ

مع المعاني وعلى هذا لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها إنها بليغة، وإن قيل فيها

إنها فصيحة فكل كلام بليغ فصيح، وليس كل كلام فصيح بليغا، كالذي يقع فيه الإسهاب في غير موضعه.^٥

وكان عند السكاكي أن البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص

التراكيب حقها، و إيراد أنواع التشبيه و المجاز والكناية على وجهها.^٦

^٤ تميم الله، الوجيز في علم البلاغة (مالانج: دريم ليتري بوان، ٢٠١٤) ص: ٤.

^٥ عبد المعتال الصعيدي، البلاغة العالية علم المعاني، (قاهرة: جامعة الأزهار، ١٩٩١) ص: ٩.

^٦ نفس المراجع، ص: ١٠.

بعد أن عرفنا الشرح والرأي من بعض العلماء البلاغيين عن مفهوم البلاغة، فوفق الباحث أن علم

البلاغة حسن استخدام ألفاظ اللغة والقدرة على صياغة العبارة الجميلة، مطابقة الكلام للمقتضى الحال مع

فصاحته بإصابة موضع الإقتناع من العقول والوجدان.

ينقسم علم البلاغة إلى ثلاثة علوم، علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع.

١. علم البيان هو علم ما به عرف تأدية المعنى بطرق مختلف وضوحها واحصره في ثلاثة تشبيه أو مجاز

أو كناية.^٧

٢. علم البديع هو علم يبحث فيما يتضمنه الأسلوب من محسنات لفضية أو معنوية و هي كثيرة

نكتفي منها بما يكثر استعماله و يسهل تداوله. (المطابقة والمقابلة والجناس و السجع).^٨

٣. علم المعاني هو علم يعرف به اصول مراعاة الكلام لمقتضى الحال وتأديته وفق ما يطلبه المقام من

إخبار أو إنشاء ومن فصل أو وصل ومن إيجاز أو إطناب إلى غير ذلك.

ب. علم المعاني

ركز الباحث في هذا البحث علم المعاني، وكما عرفنا أن علم المعاني هو أصول وقواعد يعرف بها

كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له.

^٧ عبد الرحمن بن محمد الحضري/الجوهري المكنون (قديري: مدرسة هداية المبتدئين بمعهد الإسلامي لبريانيا، دون سنة) ص ٧٧
^٨ عبد التواب عوض محمد و الدكتور السير فضل فرج الله محمد، الخلاصة في البلاغة (مكة المكرمة: جامعة ام القرى معهد اللغة العربية، ١٩٨٦) ص: ٧٩

وموضوعه هو اللفظ العربي، من حيث إفادة المعاني الثواني التي هي الأغراض المقصودة للمتكلم من

جعل الكلام مشتتلا على تلك اللطائف والخصوصيات التي بما يطابق مقتضى الحال.

أما فائدته هي إعجاز القرآن الكريم من جهة ما خصه الله به من جودة السبك وحسن الوصف

براعة التراكيب ولطف الإيجاز وما اشتمل عليه من سهولة التركيب، وجزالة كلماته، وعذوبة ألفاظه

وسلامتها إلى غير ذلك من محاسن التي أفعدت العرب عن مناهضته، وحات عقولهم أمام فصاحته

وبلاغته. والوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة في منشور كلام العرب ومنظومه كي تحتذي حذوه،

وتنسج على منواله وتفرق بين جيد الكلام و رديته.^٩

ومن العلم المعاني الكلام، والكلام ينقسم إلى قسمين ، الأول الكلام الخبرية وهو ما يحتمل الصدق

والكذب لذاته.^{١٠} ثم ينقسم الكلام الخبرية على ثلاثة اقسام منها إبتدئيا وطلبيا وإنكريا. المثال إبتدئيا

(أنا مريض) يقال هذا إبتداءا بدون تأكيد لأن المخاطب خالى الذهن، والمثال طلبيا (إني مريض) ويقال

هذا ثانيا لأن حاله من التردد يطلب التأكيد، وأما إنكاريا فمثاله (والله إني مريض) يقال هذا له بكل

ألفاظ التأكيد لأنه منكر.^{١١}

^٩ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع(بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٧) ص: ٣٩٠

^{١٠} نفس المراجع، ص: ٥٣

^{١١} أحمد فلاش، تيسير البلاغة (دون المطبع: مزينة و منقحة، ١٩٩٠) ص: ١٤.

والثاني الكلام الإنشائية وهو كلام لا يحتمل إلا الصدق وهو نوعان، أولاً الإنشاء الطلبي وثانياً

الإنشاء غير الطلبي. الإنشاء الطلبي هو يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب منها الأمر

والنهي.^{١٢}

وقال السكاكي علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من

الاستحسان وغيره، ليحتز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره.

ج. في تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء

١. كلام الخبر

الخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته. وإن شئت فقل: الخبر هو ما يتحقق مدلوله في

الخارج بدون النطق به نحو: العلم نافع، فقد أثبتنا صفة النفع للعلم وتلك الصفة ثابتة له (سواء

تلفظت بالجملة السابقة أم لم تلفظ) لأن نفع العلم أمر حاصل في الحقيقة والواقع، وإنما أنت

تحكي، ما اتفق عليه الناس قاطبة، وقضت به الشرائع وهدت إليه العقول بدون نظر إلى إثبات

جديد.^{١٣}

^{١٢} تاج الدين عم علي، النور المضي في أصول القواعد و الإعراب و البلاغة و العروض (دمشق: دار الفكر) ص: ٢٤٩

^{١٣} أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٧) ص: ٥٥

والمراد بصدق الخبر مطابقته للواقع ونفس الأمر، والمراد بكذبه عدم مطابقته له. فجملة: العلم

نافع – إن كانت نسبته الكلامية (وهي ثبوت النفع للعلم) المفهومة من تلك الجملة مطابقة للنسبة

الخارجية أي موافقة لما في الخارج والواقع فصدق وإلا فكذب نحو الجهل نافع، فنسبته الكلامية

ليست مطابقة و موافقة للنسبة الخارجية.^{١٤}

والأصل في الخبر أن يلقي لأحد غرضين :

أ. إما إفادة المخاطب الحطم الذي تضمنته الجملة إذا كان جاهلا له ويسمى ذلك الحكم

فائدة الخبر، نحو : الدين المعاملة.

ب. وإما إفادة المخاطب أن المتكلم عالم أيضا بالحكم الذي يعلمه المخاطب كما تقول لتلميذ

أخفى عليك نجاحه في الامتحان وعلمته من طريق آخر: أنت نجحت في الامتحان.

ويسمى ذلك الحكم لازم الفائدة.

و قد يلقي الخبر على خلاف الأصل لأغراض أخرى تسفاد من سياق الكلام أهمها :^{١٥}

١. الاسترحام و الاستعطاف، نحو إني فقير إلى عفو ربي .

٢. وتحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيله، نحو ليس سواء عالم و جهول.

^{١٤} نفس المراجع، ص: ٥٥.

^{١٥} نفس المراجع، ص: ٥٦.

٣. إظهار التحسر والتحزن نحو (ربي إني وضعتها أنثى).^{١٦}

٤. إظهار الفرح بمقبل والشماته بمدبر نحو (جاء الحق و زهق الباطل).^{١٧}

٥. التوبيخ، كقولك للعائر " الشمس طالعة "

٦. التذكير بما بين المراتب من التفاوت، نحو لا يستوي كسلان و نشيط.

٢. كلام الإنشاء

الإنشاء لغة هي الإيجاد، واصطلاحاً ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، نحو اغفر وارحم، فلا

ينسب إلى قائله صدق أو كذب، وإن شئت فقل في تعريف الإنشاء ما لا يحصل مضمونه ولا

يتحقق إلا إذا تلفضت به.^{١٨}

الإنشاء نوعان، إنشاء طلبي وإنشاء غير طلبي.

فالإنشاء غير طلبي هو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب كصيغ المدح والذم

والعقود والقسم والتعجب والرجاء وكذا رب ولعل وكم الخبرية.^{١٩} والمثال كما يلي:

أ. أما المدح والذم فيكونان بنعم وبئس وما جرى مجراها نحو: حبذا ولا حبذا.

^{١٦} آل عمران : ٣٦

^{١٧} الإسراء : ٨١

^{١٨} أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٧) ص: ٦٩

^{١٩} نفس المراجع، ص: ٦٩

ب. فتكون العقود بالماضي كثيرا نحو: بعث واشترت ووهبت وأعتقت.

ت. أما القسم فيكون بالواو والباء والتاء وبغيرها نحو لعمرك ما فعلت كذا.

ث. أما التعجب فيكون بصيغتين، ما أفعله وأفعل به. وبغيرهما نحو الله دره عالما {كَيْفَ

تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَانًا فَأَحْيَاكُمْ} ٢٠

ج. وأما الرجاء فيكون بعسى وحرى واخلولق. نحو: عسى الله أن يأتي بالفتح.

الإنشاء الطلبي وهو الذي يستدعي مطلوبا غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب، ويكون

بخمسة أشياء هي الأمر والنهي والإستفهام والتمني والنداء. ٢١ كما في المثال:

أ. الأمر: نحو قوله تعالى: قُمْ فَأَنْظِرْ

ب. النهي: نحو قوله تعالى: ولا تمش في الأرض مرحا.

ت. الاستفهام: نحو قوله تعالى: هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟.

ث. التمني: نحو قوله تعالى: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون.

ج. النداء: نحو قوله تعالى: يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا.

٢٠ البقرة: ٢٨

٢١ نفس المراجع، ص: ٧٠

والفرق بين الإنشاء الطلبي وغير الطلبي هو أن الإنشاء الطلبي ما تتأخر وجود معناه عن وجود لفظه، فإذا أمرت ولدها قائلة: إغسل يدك وفمك قبل الأكل وبعده. فإن لفظ الأمر "اغسل" قد سبق إلى الوجود قبل وجود معناه، أي قبل قيام المأمور، بتنفيذ ما أمرت به وهو غسل اليدين والضم. ومن هنا قيل أن الإنشاء الطلبي هو ما يتأخر معناه عن وجود لفظه أو هو ما يسبق وجود لفظه على وجود معناه.^{٢٢}

أما الإنشاء غير الطلبي هو ما يقترن فيه الوجدان، بمعنى أن يتحقق وجود معناه في الوقت الذي يتحقق فيه وجود لفظه أي في الوقت الذي يتم التلفيظ به فإذا قال شخص لأخر زوجته ابنتي، فقال: قبلت هذا الزواج. إن معنى الزواج أو وجوده يتحقق في وقت التلفيظ بكلمة القبول.^{٢٣}

إن المبحوث عنه في علم المعاني هو الإنشاء الطلبي لما يمتاز به من الطائف البلاغة، والإنشاء الطلبي خمسة أنواع وهي الأمر والنهي والاستفهام والتمنى والنداء. ويبحث الباحث عن الأمر والنهي.

أ. الأمر

الأمر هو طلب الفعل على وجه الإستعلاء، وللأمر أربع صيغ: فعل الأمر، و المضارع

المقرون بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر.

^{٢٢} عبد العزيز عتيق، علم المعاني (القاهرة: دار الأفق العربية، ٢٠٠٤) ص: ٥٨.

^{٢٣} نفس المراجع، ص: ٦١.

قد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام

كالإرشاد و الدعاء والإلتماس والتمني والتخيير والتسوية والتعجيز والتهديد والإباحة.^{٢٤} والمثال

كما يلي:

١. فعل الأمر كقوله تعالى : (يُحَيِّهِ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ) ^{٢٥}

٢. والمضارع المجزوم بلام الأمر كقوله تعالى : (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ) ^{٢٦}

٣. واسم فعل الأمر نحو : صه وآمين ونزال ودراك.

٤. والمصدر النائب عن فعل الأمر نحو : سعيًا في سبيل الخير.

ولصيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معان أخرى كما يلي:^{٢٧}

١. كالدعاء، في قوله تعالى : {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ} ^{٢٨}

٢. والإلتماس كقولك لمن يساويك : أعطني القلم أيها الأخ.

٣. والإرشاد كقوله تعالى {إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ

بِالْعَدْلِ} ^{٢٩}

^{٢٤}تميم الله، الوجيز في علم البلاغة (مالانج:ديرم لبيزى، ٢٠١٤)ص: ٤٣

^{٢٥}سورة مريم : ١٢

^{٢٦}سورة الطلاق : ٧

^{٢٧} أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيديع(بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٧) ص : ٧١

^{٢٨}سورة النمل : ١٩

^{٢٩}سورة البقرة : ٢٨٢

٤ . والتهديد كقوله تعالى { اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }^{٣٠}

٥ . والتعجيز كقوله تعالى { فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ }^{٣١}

٦ . والإباحة كقوله تعالى { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ

الْفَجْرِ }^{٣٢}

٧ . والتسوية كقوله تعالى { فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا }^{٣٣}

٨ . والإكرام كقوله تعالى { ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ }^{٣٤}

٩ . والإمتنان كقوله تعالى { فَكُلُوا بِمَآ رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا }^{٣٥}

١٠ . والإهانة كقوله تعالى { قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا }^{٣٦}

١١ . والذوام كقوله تعالى { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ }^{٣٧}

١٢ . والتمني كقول امرئ القيس : ألا أيها الليل الطويل ألا انجل # بصبح و ما الإصباح منك

بأمثل

١٣ . والإعتبار كقوله تعالى { انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ }^{٣٨}

^{٣٠} سورة فصلت: ٤٠

^{٣١} سورة البقرة: ٢٣

^{٣٢} سورة البقرة: ١٨٧

^{٣٣} الطور: ١٦

^{٣٤} الحجر: ٤٦

^{٣٥} النحل: ١١٤

^{٣٦} الإسراء: ٥٠

^{٣٧} الفاتحة : ٥

١٤. والإذن كقولك لمن طرق الباب : أدخل

١٥. والتكوين كقوله تعالى { كُنْ فَيَكُونُ }^{٣٩}

١٦. والتخيير نحو : تزوج هنداً أو أختها

١٧. والتأديب نحو : كل مما يليك

١٨. والتعجب كقوله تعالى { انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ }^{٤٠}

ب. النهي

النهي هو طلب الكف عن الفعل على وجه الإستعلاء، وله صيغة واحدة وهي المضارع مع

لا الناهية.^{٤١} كقوله تعالى { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا }^{٤٢}

وقد تخرج هذه الصيغة عن أصل معناها إلى معانٍ أخرى تستفاد من سياق الكلام و قرائن

الأحوال.^{٤٣}

١. كالدعاء : نحو قوله تعالى { رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا }^{٤٤}

٢. والإلتماس: كقولك لمن يسأوك، أيها الأخ لا تتوان.

^{٣٨} الأنعام: ٩٩

^{٣٩} مريم: ٣٥

^{٤٠} الإسراء: ٤٨

^{٤١} أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٧) ص: ٧٦

^{٤٢} الأعراف: ٥٦

^{٤٣} نفس المراجع، ص: ٧٦

^{٤٤} البقرة: ٢٨٦

٣. والإرشاد: كقوله تعالى { لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ }^{٤٥} [المائدة: ١٠١]

٤. والذوام: كقوله تعالى { وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ }^{٤٦}

٥. وبيان العاقبة: كقوله تعالى { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ }^{٤٧}

٦. والتهئيس: كقوله تعالى { لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ }^{٤٨}

٧. والتمني: نحو يا ليلة الأنس لا تنقضي، و قوله:

يا ليلِ طلِ يا نومِ زلِ — يا صبحِ قفِ لا تطلعِ

٨. والتهديد: كقولك لخادمك، لا تطع أمري

٩. والكرهية: نحو لا تلتفت و أنت في الصلاة.

١٠. والتوبيخ: نحو لا تنه عن خلق و تأتي مثله

١١. والإلتناس: نحو { لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ }^{٤٩}

١٢. والتحقير: نحو لا تطلب المجد إن المجد سلمه صعب و عش مستريحا ناعم البال

^{٤٥}المائدة: ١٥١

^{٤٦}إبراهيم: ٤٢

^{٤٧}آل عمران: ١٦٩

^{٤٨}التوبة: ٦٦

^{٤٩}التوبة: ٤٠

د. لمحة عن سورة يوسف

سيبين الباحث هنا عن لمحة سورة يوسف من خلال تعريفها وأسباب نزولها ومضمونها وقصصها مما

يلي :

١. تعريف سورة يوسف

سميت هذه السورة باسم يوسف كما أن بين عن شخصية نبي يوسف عليه السلام فقط. وله

١١١ آية من سورة مكية هي الثاني عشر من ترتيب جميع السورة بعد سورة هود. واختلفت هذه

السورة من أخرى لأن لما تذكر قصة النبي في السورة واحدة. وقد تكررت قصة كل نبي في أكثر من

سورة في القرآن، بأسلوب مختلف، ولمقاصد وأهداف متنوعة، بقصد العظة والاعتبار إلا قصة يوسف

عليه السلام.

سورة يوسف إحدى السور المكية التي تناولت قصص الأنبياء، وقد أفردت الحديث عن قصة

نبي الله يوسف بن يعقوب وما لاقاه عليه السلام من أنواع البلاء، ومن ضروب المحن والشدائد، من

إخواته ومن الآخرين، في بيت عزيز مصر وفي السجن وفي تأمر النسوة، حتى نجاه الله من ذلك

الضيق، والمقصود بها تسليية النبي صلى الله عليه والسلام بما مر عليه من الكرب والشدة، وما لا لقاء من اذى القريب والبعيد.^{٥٠}

نزلت السورة الكريمة على رسول الله بعد سورة هود في تلك القترة الحرجة العصبية من حياة الرسول الأعظم، حيث تناولت الشدائد والنكبات عليه وعلى المؤمنين. وبالأخص بعد أن فقد عليه السلام نصيرية: زوجه الطاهر الحنون خديجة وعمه أبا طالب الذي كان له خير نصير، وخير معين. وبوفاتهما اشتد الأذى والبلاء على رسول الله صلى الله عليه والسلام و على المؤمنين، حتي عرف ذلك العام بعام الحزن.^{٥١}

٢. أسباب النزول عن سورة يوسف

كان السبب في نزولها أن اليهود أمروا كفار مكة أن يسألوا رسول الله عن السبب الذي أحل بني إسرائيل. وهذه أسباب النزول مما يلي:

أ. عن سعد بن أبي وقاص، قال: أنزل القرآن على رسول الله فتلاه عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا؟ فأنزل الله تعالى هذه الآيات (رواه الحكيم).^{٥٢}

^{٥٠} محمد علي الصابوني، صفوة تفاسير، (بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٨١) ص: ٣٩

^{٥١} نفس المراجع، ص: ٣٩

^{٥٢} عبد الفتاح عبد الغني القاضي، أسباب النزول عن الصحابة و المفسرين (القاهرة: دار السلام، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٧) ص: ١٣١

ب. وعند الإمام أبي حسن علي في كتابه، أخبرنا عبد القاهر بن طاهر قال: أخبرنا أبو عمر بن

مطر، قال: أخبرنا جعفر بن الحسن بن المستفاض قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي،

قال: حدثنا عمرو بن محمد القرشي، قال: حدثنا خالد بن مسلم الصفار، عن عمرو بن قيس

الملائي عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد، عن أبيه سعد بن أبي وقاص في قوله تعالى :

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) قال أنزل القرآن على رسول الله فتلاه عليهم زمانا فقالوا:

يا رسول الله لو قصصت. فأنزل الله تعالى (الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) إلى قوله تعالى : نَحْنُ

نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ الآية، فتلاه عليهم زمانا فقالوا: فأنزل الله تعالى: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ

الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا قال: كل ذلك تأمرون باقرآن، رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه، عن

أبي زكريا العنبري، عن محمد بن عبد السلام، عن إسحاق بن إبراهيم.

ج. وقال عون بن عبد الله: مل أصحاب رسول الله ملة فقالوا : يا رسول الله، حدثنا: فأنزل الله

تعالى (الله نزل أحسن الحديث) الآية. قال: ثم أنهم ملوا ملة أخرى فقالوا : يا رسول الله فوق

الحديث و دون القرآن، يعنون القصص - فأنزل الله تعالى : نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ،

فأرادوا الحديث، فدلهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصص، فدلهم أحسن القصص.^{٥٣}

^{٥٣} الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩) ص: ١٤٥

د. أن أصحاب النبي صلى الله عليه والسلام ملوا ملة فقالوا: لو قصصت علينا با رسول الله فنزلت

هذه الآية، ثم ملوا ملة أخرى فقالوا: لو حدثنا با رسول الله فنزلت : اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ

كِتَابًا مُتَشَابِهًا. والقصص الإخبار جرى من الأمور.^{٥٤}

بعد أن لاحظ الباحث من تلك آراء عن أسباب النزول هذه السورة لقد استخلص

الباحث أن أسبابها حين سأل أحد إلى النبي مُحَمَّدُ القصص القديم. فقصص النبي هذه السورة

التي فيها الثيم الأخلاقية جيدة في الحياة.

٣. مضامين سورة يوسف

و هذه المضمون من سورة يوسف كما يلي :

أ. النبوية يوسف و معجزاته

سيكون يوسف نبي الله كما جدان إبراهيم وإسحاق، كما قال الله تعالى: إِذْ قَالَ

يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي

سَاجِدِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالَ يَبْنَؤُ لَا تَقْضُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ

الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٢٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ

^{٥٤} عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسن في تفسير القرآن، (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م) ص: ١٤٥.

الْأَحَادِيثِ وَيُنِيمُ نِعْمَتَهُ وَعَلَيْكَ وَعَلَىٰ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

وقد بين في هذه الآية، اشعر ويرى يعقوب علامة النبوة ليوسف من الرؤية يوسف.

وقد ذكر الله في هذه الآية عن المعرفة و القدرة على تفسير الأحلام.

والآخر هو أن علاقة الدين الأنبياء بينهم التشابه أي هو تقوى على الله. كما قال في

الاية : وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ

مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨)

ب. الحكمة

نهى الله عن الحسد لأن الحسد يستطيع أن يفعل الناس الشر. وسوف نأخذ الحكمة

من الآية والحكاية، كما في الآية التالي : إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنََّا وَخَجُنْ عَصَبَةً

إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٨) افْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ

بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩)

ج. القصص

قصة يوسف وإخواته وأبيه، كما قال الله تعالى في الآية : الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ

الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣).

هذه القصة لا تقص حال النبي يعقوب وأولاده فقط بل هذه القصة للدين والدنيا

وحياة الإجتماعية والإقتصادية والسياسة والأدبية المملوء بالعبء والعظمت. ولعل من أهمها الصبر

على الأذى والعفو عند المقدرة.

٤. القصص في سورة يوسف

كانت نزلت هذه السورة ليست إلا لقصة يوسف عليه السلام بتلك القصة سوف يأخذ

الإنسان درسا وعبرة له في حياته الدنيا والأخيرة. كما قال مُجَدِّ قريش صهاب في كتابه تفسير

المصباح، أن بدأت القصة في هذه السورة عن رؤياه يوسف إلى أبيه (الآية ٤-٨) ثم الإطراح لإخوانه

(الآية ٩-١٨) وبيعه لقبيلة ابن السبيل إلى أهل المصر (الآية ١٩-٢٢) والإغواء زوجته الوزير

(الآية ٢٣-٢٩) وبرائته المطلقة (الآية ٣٠-٣٥) ويوسف في السجن (الآية ٣٦-٤٢) وعن رؤي

الملك (الآية ٤٣-٥٣) وحين يصير يوسف الوزير (الآية ٥٤-٥٧) ولقاء يوسف مع أسرته

(الآية ٥٨-١٠١).^{٥٥} واستخلص الباحث أن يأخذ من الكتب الذي يعتبر قصة نبي يوسف عليه

السلام، مما يلي:

أ. رؤيا يوسف

لما بلغ السابعة من عمره يوسف رأى رؤيا بخرية كما في الآية إنها رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأى هم لهم ساجدون. لقد علم يعقوب الدالة على الرؤي فنهى يعقوب أن لا يقص قصته إلى إخوانه لأن سيصيبه يوسف الأذي إن قص رثياه كما في الآية {قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ}. فلما استيقظ قصها على أبيه فعرف أبوه أنه سينال منزلة عالية ورفعة عظيمة في الدنيا والآخرة، يبحث ويخضع له وإخوانه فيها. فأمره بكتماها وأن لا يقصها على إخوانه، كي لا يحسدوه ويغفوا له الغوائل ويكيدوه بأنواع الخيل والمكر.^{٥٦}

ب. موقف إخوة يوسف إليه

كان يوسف رائع الجمال، محبوبا لأبيه مما أثار حقد إخوانه عليه وتآمرهم عليه. فلذلك حسد عليه أخيه حتى يختطوا أن يقتله يوسف. كما في الآية {اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا

^{٥٥} قریش صهاب، تفسير المصباح: الوصية والأثر واللوم القرآن، (جاكرتا: لنتار هاتي، ٢٠٠١)، ص: ٤١٤-٥٢٦.

^{٥٦} أبي الفداء الحافظ ابن الدمشقي بمصص الأنبياء، (بيروت: دار الكتب العلمية، مجهول السنة) ص: ٢١١

يَنْخُلْ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ
وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ}. واتفقوا على هذه الخطوة
وذهبوا إلي أبيهم وكان يخشي على يوسف منهم ولا يأمنهم عليه وقالوا {قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا
تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ}. لقد شعر يعقوب حزنا وخوفا عندما يوسف مع إخيه
يلعب ويرتع في المرعى أن يأكله الذئب لأن يوسف في الصغار.

بل استجاب لهم أبوهم فأخذوا يوسف وذهبوا به إلى المرعى، ونفذوا فيه ما أجمعوا عليه
فألقيوه في بئر كانت على ثلاثة فراسخ من دار يعقوب، لما ألقوه في البئر أوحى إليه تعالى
وأخذوا قميص يوسف، ولطخوه بدم ليوهموا به أنه دام يوسف وجاءوا إلى أبيهم وقالوا {قَالُوا يَا
أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا
صَادِقِينَ} ٥٧

ج. يوسف في بيت العزيز

مرت هناك قافلة من الناس بعد قيامه يوسف في الجب ثلاثة أيام وأرسلوا من يلجب
لهم الماء فألقى دلوه في تملك البئر، فتعلق به يوسف ولما رآه الوارد قال "يا بشرى هذا غلام"
فأخذوا يوسف وأسرواه بضاعة. لما وصلوا إلى المصر أوردوا للبيع فباعوا يوسف بثمن بخس

^{٥٧} حامد عبد القادر، تخصص الأنبياء، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م) ص: ٧٠-٧٢.

دراهم. واشترى الملك العزيز يوسف وأخذ معه إلى مسكانه. كما في الآية {وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ

مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ

وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}.

د. إغراء امرأة العزيز إلى يوسف

يقاص أن غارت امرأة العزيز يوسف في بيتها، أخذت تداعبه وتعيّره وهو يعرض عنها

وبلغ من شدة شغفها به.^{٥٨} ولما رأت زوجها لدى الباب يريد الدخول، لقت عليه التهمة

وأفهمته أنه يريد به بسوء، فكذبت وصدق يوسف، ويقول الشاهد منهم أن كان قميصه مازق

من قبل فصدقت امرأة العزيز وكذب يوسف، إن كان قميصه مازق من دبر وكذبت امرأة العزيز

وصدق يوسف، بل رأى السيد أن قميص يوسف مازق من قبل، فظهرت هذه التهمة وكذبت

امرأة العزيز وأمر يوسف بكتفم الخبر وأمرها استغفاراً لذنبها.^{٥٩} كما في الآية {وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ

وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ

يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ

قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ

^{٥٨} نفس المراجع، ص: ٧٤.

^{٥٩} وهية الزحيلي، التفسير المنير: في العقيدة والشريعة والمنهج. ج الحادى عشر، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ-١٩٩١م) ص: ١٩٢.

وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ

(٢٨) يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) .

بسبب تلك التهمة علم كل الناس أن امرأة العزيز من الخاطئين، وأن يوسف من الأبرار

الطاهرين وشق ذلك على العزيز وساءه أن يلحق امرأته العار فسولت له نفسه أن يخرس رجال

القضاء على إعادة اتهام يوسف، ولكن بدأ لهم على الرغم من ذلك أن صدروا الحكم بسجنه.

هـ. يوسف في السجن

وبعد أن حدث الحادثة مع امرأة العزيز دخل يوسف في السجن. في هذا الحال قد دال

يوسف تأويله عن الأحلام دلالة ظاهرة. كان معه في السجن فتیان فإخما يجلمان ويقص

أحدهما أحلامه. فاعتبر يوسف أحلام صاحبه السجن، كما في الآية { قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ

تُرزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ

نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ

(٣٨) يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَزْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) .

بعد أن ذكر الله تأويل رؤيا يوسف ورؤيا صاحب السجن ثم ذكر الله تعالى تأويل رؤيا

ملك مصر، فكان هذا السبب في اتصال يوسف مع الملك. فذكر أحد يوسف في السجن

وارسل يوسف إلى يديه لتفسير وتعبير رؤي الملك، كان تأويل يوسف عن الرؤي يجعل الملك

صديقا له وأخرجه يوسف من السجن حتي ظهرت الحقيقة على امرأة الملك، في الآية { قَالَ مَا

حَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ

الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ.

و. لقاء يوسف مع إخواته وأسرته

بعد أن خرج يوسف من السجن جعل الملك العزيز يوسف مالكا ووزيرا لأرضه بمصر،

كما في الآية { قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ }. ومرت السنة بعد السنين

آتت سبع السنوات المخصبة، جاؤوا من أهل القرية إلى القصر لنيل القمح وبعض الكيل،

وأرسل يعقوب أولاده مع الجمال والحمير الطعام من مصر فلما قدموا عرفهم يوسف ولا

يعرفونه، إذ أصبح في سن الأربعين، وطلب ممنهم أن يأتوه بأخ لهم ممن أبيهم مرة أخرى

وأعطاهم الطعام والكيل بلائمن، فأتوا بأخيهم دون أن يعلموا أنه رد عليهم الثمن ووضع مقودهم

في أوعيتهم لأنهم سيعودون بها إليه.

فسمح يعقوب وسفر مع ابنه الصغير بنيامين، لما قدموا حسن يوسف ضيافتهم

واستقبلهم في حفل غداء ظهرا، ولكنه لم يأكل معهم جريا على عادة المصريين الذين يعتبرون

الأكل مع العبرانيين نجاسة وأخبروا خادما ليوسف أنهم عادوا بالفضة ثمن الطعام سابقا وبفضة

أخرى لشراء القمح.^{٦٠}

ثم جاء إخوة يوسف إلى مصر في المرة الثالثة وطلبوا إمدادهم بالطعام، لما تعرضوا له من

ضر (الجوع) قائلين: جئنا ببضاعة مزجاة أي قليلة، كما طلبوا إطلاق سراح أحيهم، فذكرهم

بخطيئتهم الماضي كما في الآية { قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩)

قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ

لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } . فعرفوا أخوه أنها يوسف الحقيقية.

ثم أمر يوسف بالرجوع وأعطى قميصه بأن يمسح على وجه أبيه يعقوب فكان بصيرا

وأن يأتون مع أبيه المصر بعد ذلك. كما في تفسير المنير،^{٦١} فجاء يعقوب وآله إلى مصر فأوى

يوسف إليه أبويه يعقوب وزوجه خالة يوسف، لموت أمه وهو في الصغير وسجد له أبوه وأمه

وإخواته سجودا تحية وتعظيما، كانت هذه هي التأويل من رؤيه يوسف الماضية كسجود أحد

^{٦٠} وهية الزحيلي، التفسير المنير: في العقيدة والشريعة والمنهج. ج الحادي عشر، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ-١٩٩١م) ص: ١٩٣

^{٦١} وهية الزحيلي، التفسير المنير: في العقيدة والشريعة والمنهج. ج الحادي عشر، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ-١٩٩١م) ص: ١٩٥

عشر كوكبا والشمس والقمر. وكان هذا اللقاء فرحا عظيما ليعقوب، ودعا يوسف لله على

نعمه ومن العلم والملك التي أعطى الله إليه.